الإسلام والغرب

ظاهرة كراهية الإسلام

العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب ازدادت تعقيداً وسوءاً في مطلع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م، وسادها الظلم والتعسف والاستكبار والتعصب العرقي وإهدار المصالح العربية والإسلامية، وظهور طغيان المصالح الغربية والنظرة الدونية للشعوب الآسيوية والإفريقية، وإشاعة الدسائس والفرقة وإضمار الحقد واستغلال التخلف، والاعتماد على قوة البطش والتدخل العسكري، ومحاولة نهب الثروات القومية المعدنية النفيسة الجامدة كالذهب والفضة والبلاتين والأورانيوم، والسائلة كالنفط والغاز. وزادت أطماع الدول الغربية سواء فيما بينها، أو بينها وبين غيرها. واكتوى العالم العربي والإسلامي بنار الاستعمار البغيض والتجزئة، وكانت بريطانية هي زعيمة الاستغلال والتخطيط لتجزئة العالم الإسلامي، وتقطيع أوصاله في النصف الأول من القرن العشرين، ثم ورثتها أمريكة بعد الحرب العالمية الثانية وإلى اليوم.

ومنشأ التدخل الغربي في قضايانا أمران: النهضة الصناعية الغربية في القرن التاسع عشر، وتفاقم القوة العسكرية الرهيبة لدى الغرب، مما أورثهم عنفواناً واستكباراً وطغياناً ومحاولة مستميتة للتسلط على مقدراتنا، ولفتح الأسواق العالمية أمام المنتجات الصناعية المتطورة.

وشهد العالم في مطلع القرن العشرين حرباً عالمية أولى في أوربة أقحم فيها

العرب والمسلمون، وكانت هناك أسباب خمسة خفية لنشوب هذه الحرب وهي[١]:

١- نظام المحالفات السرية، إذ عقد تحالف ودي بين ألمانية والنسمة وروسية سنة ١٨٧٢م، ثم أبرم تحالف ثلاثي بين ألمانية والنمسة وإيطالية، وعقد تحالف بين فرنسة وروسية سنة ١٨٩١-١٨٩٢م، بعد سقوط (بسمارك) مؤسس الاتحاد الألماني، وعقد وفاق بين فرنسة وإنكلترة سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٥م، ثم وفاق ثلاثي بين هاتين الدولتين وروسية سنة ١٩٠٧ - ١٩٠٨م من أجل تقييد مطامع ألمانية، وإيجاد التوازن الدولي الأوربي، وإنشاء قوتين متكافئتين في أوربة.

٢- تنامي الروح العسكرية في أوربة، حيث شاعت فكرة توحي بأن قوة الشعوب الحربية هي مصدر كل قوة وسلطة، وأن الحق دائماً في جانب القوة، وظلت هذه الروح مهيمنة في أوربة وأمريكة وروسية وغيرها إلى الآن، كما كانت كذلك ظاهرة شائعة في الإمبراطورية الرومانية.

٣- نشوء الفكرة القومية بين شعوب أوربة، فاتجهت شعوبها المرتبطة برابط اللغة والجنس والتقاليد وأساليب الحياة إلى الحرص على هذه الفكرة التي وحدت ألمانية وإيطالية، وكانت سبباً في تمزيق شمل الإمبراطورية العثمانية، مما أدى إلى نشوء سلسلة الحروب البلقانية.

٤- الاستعمار الاقتصادي، فإن الثورة الصناعية التي انتشرت في أوربة أدت إلى زيادة الإنتاج، والبحث عن أسواق تجارية لبيعها، واستيراد مواد أولية لصنعها، مما أدى إلى التنافس الاستعماري في الدول الغربية، على حساب البلاد المتخلفة في آسية وإفريقية ومنها العالم الإسلامي.

٥- تأثير الصحافة: أخذت صحافة الدول الكبرى تسمم الرأي العام، وتثير النعرات الوطنية، وتغالي في بحث القضايا السياسية علناً، مما أثر في السياسة

(١) معالم التاريخ الحديث للأستاذ أنور الرفاعي، ص٢٣٠-٢٣٤.

وقادتها، حفظاً على مراكزهم، وانعكست آثار هذا التدخل صراعاً بين الأوربيين، ونزاعاً في الأسواق المالية الآسيوية والإفريقية.

ثم نشبت الحرب العالمية الأولى بين معسكري المحور (ألمانية والنمسة ثم تركية وبلغارية) والحلفاء (فرنسة، وروسية، وإنكلترة، وإيطالية، واليونان، والصين، واليابان، وبلجيكة واليونان، والجبل الأسود، ورومانية، والبرتغال، والولايات المتحدة الأمريكية) وكان العرب ضد تركية في هذه الحرب، وانتصر الحلفاء على دول المحور، وهزمت ألمانية ومعها حليفتها تركية.

وكان من آثار هذه الحرب أن الحلفاء أجبروا الدولة العثمانية على توقيع معاهدات الصلح التي تقضي بحل المسألة الشرقية (مسألة تركية) حسب مصالحهم، وسلخ البلاد العربية عن جسم الدولة، واحتلال المضايق والعاصمة إستانبول، وقسم من الأناضول، فقامت حركة وطنية في الأناضول بقيادة مصطفى كمال أتاتورك الذي ألَّف حكومة في أنقرة، ورفض معاهدة سيفر، وجمع مجلساً وطنياً وضع دستوراً جديداً للبلاد في سنة **١٩٢١**م، وهاجم الجيوش اليونانية في غربي آسية الصغرى، واسترجع المضايق، وعقد مع الحلفاء معاهدة جديدة في لوزان في **٢٤** تموز سنة **١٩٢٣**م، وألغيت بذلك بنود معاهدة سيفر، واستعادت تركية أراضيها المحتلة، وأخرجت الحلفاء من إستانبول، وألغت الامتيازات الأجنبية، وفي سنة **١٩٢٣**م تقرر النظام الجمهوري في تركية، وانتخب مصطفى كمال رئيساً للجمهورية، وألغى الخلافة الإسلامية، وقام بمشاريع عمرانية واقتصادية، وبعد موته انتخب صديقه عصمت اينونو مكانه، الذي قاد تركية خلال الحرب العالمية الثانية، ووقف على الحياد طيلة الحرب.

وظهرت فكرة القومية العربية بثورة الشريف حسين، وتمكنت بريطانية مع حلفائها من إبرام اتفاقية (سايكس بيكو) التي جزَّأت البلاد العربية، ومهدت للاستعمار، وفاوضت بريطانية اليهود على إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وفاوضت فرنسة وروسية على حل المسألة الشرقية وتأمين مصالح هاتين

الدولتين، ووقعت سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، والعراق ومصر وفلسطين تحت مظلة انتداب بريطانية.

وقامت الصهيونية[١] بحركتها اليهودية لإقامة دولة يهودية في فلسطين، وأصدر وزير خارجية بريطانية وعده المشؤوم في الثاني من تشرين الثاني في سنة ١٩١٧م لليهود بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وأعانتهم بريطانية بعد انتهاء انتدابها على فلسطين بتسليم أراضيها لليهود وعصاباتهم الوحشية بأسلوب ماكر وخبيث، على الرغم من نشوب معارك بينهم وبين عرب فلسطين، وظهرت حركات ثورية وطنية، بدأت بالثورة الكبرى في فلسطين في نيسان سنة ١٩٣٦م، وأظهر الثوار بطولة خالدة، لولا ضلوع بريطانية بقمع تلك الحركات مع اليهود. كما قامت ثورات وطنية قوية في سورية والعراق ومصر وليبية والجزائر وغيرها لطرد المستعمرين حتى تحقق الاستقلال في أواسط القرن العشرين، بعد الحرب العالمية الثانية بين دول المحور ألمانية بزعامة هتلر وحليفتها إيطالية واليابان، وبين الحلفاء الأوربيين والأمريكان والروس، والتي فرضت على ألمانية المهزومة في الحرب العالمية الأولى كثيراً من القيود، ثم انتصر الحلفاء بقيادة تشرشل على ألمانية وإيطالية بدعم كبير في السلاح والجيش من أمريكة الشمالية، وبخاصة بعد انتصار الروس على جيش هتلر في المعركة الحاسمة في ستالينغراد، ومعركة العَلَمين في الجبهة الإفريقية حيث كانت هاتان المعركتان نقطة تحول في الحرب لمصلحة الحلفاء.

واتجهت البلاد العربية لتأييد الحلفاء مادياً ومعنوياً، وأُسست الجامعة العربية، ومع كل هذا التأييد القوي وتحقيق النصر للحلفاء، فإن الأوربيين استغلوا موقع الدول العربية وثرواتها لمصلحتهم وحاربوا الثوار، وهذا دليل آخر غير مأساة فلسطين يدل على مدى أحقاد الغربيين، وإن خلت البلاد العربية من ميادين الحرب المهمة، عدا شمالي إفريقية.

---

(١) الصهيونية: هي حركة القومية اليهودية، وعودة اليهود لأرض الأجداد (أرض الميعاد) كما يزعمون.

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية صدرت وعود من أمريكة تؤيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتأسيس دولة يهودية، كما أيدت روسية الشيوعية الدولة اليهودية، واعترفت بها مثل أمريكة حين الإعلان عنها في سنة ١٩٤٨م.

وما يزال التأييد الدولي الكبير قائماً من أمريكة وأوربة وروسية للكيان الصهيوني ومساندته بالمال والسلاح والمهاجرين، كرهاً بالعرب والمسلمين.

وخاض العرب مع هذا الكيان البغيض حروباً ثمانية ظهر فيها بكل وضوح ممارسة كل ألوان التأييد من العالم غير المسلم في الأمم المتحدة وبالإمداد الحربي والمادي والمعنوي في هذه الحروب حتى في قلب المعركة للحفاظ على (أمن إسرائيل)، مما يوجب علينا مواجهة المشروع الصهيوني بوحدة متماسكة قوية بين الدول العربية، ومن باب أولى بين عرب فلسطين كلهم، والوحدة تتطلب التنمية الاقتصادية والصناعية والحربية والاجتماعية ومقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية في الطليعة.

ظاهرة كراهية الإسلام

هناك جذور قديمة لوجود هذه الظاهرة، من أهمها شيئان:

الأول - الحقد على المسلمين بسبب تشويه صورة الإسلام في الكتب وكتابات المستشرقين والإعلام المعاصر، وبعضها ما ظهر أخيراً من الطعن بالقرآن، والرسوم الساخرة بالنبي عليه الصلاة والسلام الذي لم يتأثر بأباطيلهم وترويجها في جرائدهم ولن يتأثر، بدءاً من الدانمارك المتعصبة، وتقليد تلك الرسوم ونقلها إلى فرنسة وهولندة والسويد وأمريكة وغيرها، وصدق الله تعالى حين قال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الحجر: ١٥/ ٩٥-٩٦].

والثاني - التخوف من المسلمين الذين فتحوا بلاداً غربية كإسبانية وجنوب فرنسة، وامتدت الفتوحات إلى الهند والصين والبلقان، حيث اكتسح المسلمون نصف المجتمع الغربي تقريباً، وكادوا يفرضون سيادتهم على البلاد الغربية، لقد

فتحوا الشمال الغربي لإفريقية وشبه جزيرة إيبيرية وشواطئ البلاد الواقعة ما بين جبال البيرنيه ومصب نهر الراين (بلاد الغال)، وبعد قرن ونصف حينما أصيبت الحضارة الغربية الوليدة بنكسة إثر انهيار الإمبراطورية الكارولنجية اتخذ المسلمون خطة الهجوم من جديد، منطلقين من قواعدهم الإفريقية، للقيام بعملياتهم، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من السيادة على إيطالية كلها[١].

وصرح الرئيس الفرنسي السابق شيراك أن فرنسة لن تسمح بقيام نظام حكم إسلامي في الجزائر وغيرها من شمال المغرب العربي.

وهوجم الإسلام من قبل الصليبيين والمغول، لإبعاد الإسلام عن الساحة تماماً، وخرج الإسلام منتصراً من معركة الحياة والموت هذه، فلقد أسلم مغول آسية الوسطى، وطُرد الغزاة الفرنجة من فلسطين وسورية، واستطاع المسلمون إدخال الحضارة إلى حياة العالم المسيحي اللاتينية الصدئة، وتغلغل التأثير الإسلامي في العالم الغربي كله طيلة قرونه الوسطى.

أما في صقلّية والأندلس، فقد كان تأثر الدولة الغربية الجديدة فيهما بالإمبراطورية العربية أوسع شمولاً وأبعد غوراً، في هندسة البناء والفنون المعمارية مثلاً. وفشلت محاولة الغرب في القرون الوسطى لاستئصال شأفة الإسلام، واستطاع العثمانيون أو الأتراك طرد أساطيل الغرب وقهرها في محاولاتهم لاسترداد السيطرة على مضائق تركية ثماني عشرة مرة[٢].

وانتقلت كل العلوم الطبية والفلكية والقانونية وغيرها إلى الغرب عبر بقاء إسبانية تحت مظلة الحكم الإسلامي ثمانية قرون، ولا سيما ما بين التشريعين الإسلامي والفرنسي في كثير من النواحي، في شكل عادات وأعراف تأصلت في فرنسة أيام وجود المسلمين فيها وفي غيرها من بلاد أوربة في العقود المدنية والملكيات وأنواع الحيازة[٣].

---

(١) الإسلام والغرب والمستقبل، آرنولد توينبي، تعريب الدكتور نبيل صبحي، ص٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٣٢-٣٤.

(٣) التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي، أ.د. محمد يوسف موسى، ص٩٩-١٠٠.

وفي هذا المجال ظهر كتاب عجيب بعنوان (المقارنات التشريعية - تطبيق القانون المدني والجنائي على مذهب الإمام مالك)، تأليف القاضي محمد حسنين بن محمد بن مخلوف العدوي (١٢٣٥-١٢٩٥هـ) بتحقيق أ.د. محمد أحمد السراج، أ.د. علي جمعة محمد.

يرى السيد كوفي عنان الأمين العام السابق للأمم المتحدة أن ظاهرة كراهية الإسلام لها تاريخ يمتد عبر القرون، مع أن مصطلح (كراهية الإسلام) طرح خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، إذ أدرك كثير من المسلمين اليوم أنهم كانوا قد تعرضوا دائماً وعلى مدى التاريخ لأنواع الظلم والاضطهاد والاعتداء والاستعمار المباشر وغير المباشر، وخرق حقوقهم، مشيراً إلى بعض الحالات كالقضية الفلسطينية، وقتل المسلمين وإبادتهم خلال عملية تقسيم يوغوسلافية، معتبراً إياها مصاديق للتعامل الغربي غير العادل ضد المسلمين[١]. أي إن جذور كراهية الإسلام ينبغي البحث عنها في الظلم التاريخي للغرب ضد المسلمين، ثم في النظرة السلبية للمسلمين بالنسبة إلى الغرب، وبعد ذلك أعمال العنف لبعض المسلمين المتطرفين ضد الغرب، وبالمقابل الجهود الغربية لمواجهة الإسلام والمسلمين. فهذا تعبير واضح عن السياسات المنحازة والظالمة واللامتوازنة لأمريكة والغرب فيما يتعلق بقضية فلسطين والشرق الأوسط.

ويعرض روني مدتراست (١٩٩٧م) في تعريفه لظاهرة كراهية الإسلام ثمانية عناصر قبلها العالم، وبخاصة لدى المركز الأوربي لمراقبة العنصرية ومعاداة الأجنبي[٢].

---

(١) ٧ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٤م، نيويورك عام ١٩٩٧، إسلام فوبيا، أي الخوف من الإسلام، وبتاريخ ٢٠٠٩/٥/١٠ انعقد مؤتمر يميني بين الدول الأوربية في ألمانية موضوعه معاداة الإسلام، وبيان أن الإسلام خطر على أوربة بمناسبة بناء مسجد في كولومبية.

(٢) بحث ظاهرة كراهية الإسلام: تحديات ومواجهات للسفير الإيراني في ماليزية، سيد محمد كاظم خوانساري، ص٦ وما بعدها.

١- يتميز الإسلام كقطب موحد بالركود والجمود، ومقاومته ضد أي تغيير.

٢- يعد الإسلام نسيجاً فريداً وغريباً لا يتحمل قيماً مشتركة مع سائر الثقافات، لا يتأثر بها ولا يؤثر عليها.

٣- يصوِّر الإسلام مقابل الغرب، في حالة من الدونية والوحشية وانعدام المنطق، والبدائية، بل الاهتمام بالجنس.

٤- يصوّر الإسلام ديناً يعتمد على العنف والعدوان، وكعامل تهديد ودعم للإرهاب، وإثارة الصراع بين الحضارات.

٥- يعرض الإسلام كإيديولوجية سياسية، يتم استخدامها للأغراض السياسية والعسكرية.

٦- ترفض جميع عمليات النقد الموجهة من الجانب الإسلامي إلى الغرب من دون دارسة مضمونها.

٧- يستغل الإسلام كعامل للقيام بأعمال التمييز ضد المسلمين وفصلهم عن سائر قطاعات المجتمع.

٨- يعد العداء ضد المسلمين أمراً طبيعياً وعادياً[١].

ويرى (استفان شوارنز الأمريكي) رئيس مؤسسة أبحاث عن الإسلام في الولايات المتحدة أن كراهية الإسلام إدانة للإسلام وتاريخه كله باعتباره ديناً متطرفاً، أي إن الإسلام يعد معضلة للعالم كله، ويزعم أن الصراعات في المجتمعات المسلمة ناتجة عن أفكارهم ليس إلا، ولذلك تتم شرعية الحرب ضد المسلمين والعمل على تغيير المعتقدات الإسلامية[٢].

ويرى (المكتوبي) كراهية الإسلام ظاهرة عنصرية موجهة ضد الإسلام، تشمل مزيجاً من عناصر الحقد ضد الدين والتمييز الحاد ضد أتباعه[٣].

---

(١) إسلام فوبيا، سنة ١٩٩٧.

(٢) إسلام فوبيا، ٢٨ نيسان ٢٠٠٥.

(٣) إسلام فوبيا وتعريفه.

والمجلس الأوربي يعتبر كراهية الإسلام حالة من الرعب، أو الآراء التي تتضمن أحكاماً تم إصدارها سابقاً بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين وما يتعلق بهم[١].

وجاء في تقرير نشر في السنوات الأخيرة في بريطانية أن كراهية الإسلام تشمل مبادرات تمييزية وعدائية وغوغائية ضد الإسلام والمسلمين[٢].

وأرى أن ظاهرة كراهية الإسلام تعد خطة هادفة ومدروسة من الحكومة والمجتمع الغربي والأفراد، وسياسة تعبر عن صورة عدوانية وغير إنسانية، والهدف منها إيجاد حالة رعب من الإسلام والمسلمين، من أجل مواجهة الإسلام والمسلمين في العالم.

وهي أخلاط وشوائب ومغالطات ومخططات خبيثة بعيدة عن الإسلام الذي هو رحمة عامة للبشرية، ومصلحة شاملة، وعدل تام، ومن يعاديه يعادي هذه القيم كلها، وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ٢/ ١٢٠] والتصدي لهذه الظاهرة يتطلب استنفار كل الطاقات والإمكانات والدراسات لإلجام أدعيائها، والقيام بمبادرات متنوعة في المجالات السياسية والثقافية والعلمية والفكرية والقانونية والإعلامية لإبطال هذه المزاعم، وضرورة تعاون مشترك بين الحكومات والمؤسسات الإسلامية وجميع المسلمين لبيان خطورة ظاهرة كراهية الإسلام دولياً وعالمياً وثقافياً، وأنه على العكس مما يقولون بأن منهاج العلاقات الثقافية والدينية والسلمية مع أتباع سائر الأديان والثقافات قائم على الحوار البناء والود والإخاء الإنساني دون المساس بأي اعتبارات وقيم لدى الآخرين ولو كانوا وثنيين، لأن الحق ظاهر، وحمل الناس على خلاف عاداتهم وأعرافهم أمر ميئوس منه، وأن قلب الحقائق هو شأن الحاقدين والذين لا يقدمون للعالم إلا الشر والدمار والضلال والإفساد والضياع.

---

(١) المرجع السابق في ٢٨ آذار (مارس) ٢٠٠٧.

(٢) التقرير الخاص من لندن.

أوربة وأمريكة مثالاً: لن ينسى التاريخ فظائع وجرائم محاكم التفتيش في أوربة الناجمة عن التعصب المذهبي، كما لا ينسى جرائم أمريكة وإسبانية بقتل اثني عشر مليوناً من الهنود الحمر السكان الأصليين من رجال ونساء وأطفال ظلماً وعدواناً جراء طغيان المسيحيين وأعمالهم الجهنمية، وإحراق الناس أحياء، والتمثيل بجثثهم، وقطع أيديهم وآذانهم، ونهب أموالهم، وذبح الرجال والنساء والأطفال وإحراقهم، وربط الهنود وقطع رقابهم، وإفناء مساحات هائلة وممالك شاسعة من الأراضي، وإخلائها من سكانها، ولم يُبقوا منهم إلا القليل من الآلاف، والاعتداء على أعراضهم ونسائهم[1] فهذه حضارتهم الزائفة وسوءاتهم الوحشية، إنهم لم يكونوا يقتلون فحسب، بل كانوا يتلذذون ويستمتعون ويطربون لمشهد العذاب والبطش والكلاب المدربة تأكل الهنود.

فهل نجد شيئاً من هذا في التاريخ الإسلامي على مدى أربعة عشر قرناً ونيف؟

إن الأمريكان والأوربيين هم الذين صنعوا الإرهاب وصدّروه قديماً وحديثاً، وإن التبشير والاستعمار وجهان لعملة واحدة.

ولو لم يكن في تاريخ الصليبيين سوى (محاكم التفتيش) التي لا نظير لها في وحشية الإسبان مع المسلمين، لكفى أن يكون صفعة قاسية على وجوه أهل الصليب، سجلها التاريخ في صفحة حالكة السواد، فكان الإسبان باسم المسيحية يسفكون دماء المسلمين السالمين أو يجبرونهم على التنصر، وظلوا يعذّبون المسلمين وينكّلون بهم طيلة مئة سنة، حتى لم يبق من الملايين الثلاثين مسلم واحد.

ومع كل هذه المجازر للهنود الحمر والمسلمين، فما يزال الغرب المسيحي يتهم الإسلام بالتعصب والإرهاب.

---

(١) ينظر كتاب مذابح الهنود الحمر، رسائل المطران برتولومي دي لاس كازاس، وثائق خطيرة وشهادة للتاريخ.

والمسلمون يتحدّون هؤلاء المفترين على الإسلام؛ بأن يوردوا أمثلة عملية على ما يقولون، على خلاف ما شاهده العالم من مآسي الاستعمار والصلَف والاستكبار في القرن العشرين، وعلى ما نراه رأي العين من مخازي أمريكة وحلفائها في العراق وأفغانستان، أما أفغانستان فهم يريدون حملها على إقرار تمرير النفط وغيره منها تحت قاع البحر إلى أمريكة، وفظائعها إلى الآن مستمرة، ومن أمثلتها سجن غوانتنامو الرهيب.

وأما الأطماع الأمريكية في العراق فهي قديمة منذ ١٢٠سنة، ويحلمون بالاستيلاء على نفط العراق كما صرح أحد قادة حربهم في التدخل بشؤون العراق منذ عام ٢٠٠٣م، بقوله: هدفنا النفط، وأهداف السياسة الأمريكية واضحة في تقريرين مهمين ظهرا بين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٥م[١].

أما التقرير الأول: فقد أعده مكتب شؤون الأمن القومي في وزارة الدفاع الأمريكي بعنوان (استراتيجية الولايات المتحدة الأمنية في الشرق الأوسط)، وهو يشير إلى أن من أبرز المصالح الحيوية للولايات المتحدة تدفق النفط، والمحافظة على الممرات المائية، وإدماج إسرائيل والعرب فيما يسمى بالشرق الأوسط الجديد، ومواجهة الجماعات الإسلامية المتطرفة، والحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل في المنطقة.

وأما التقرير الثاني: فإن (الدكتور كينيث كاتزمن) عرض فيه العوامل الكامنة وراء سياسات الولايات المتحدة تجاه العراق، وأهمها أن الولايات المتحدة لا تزال تعد العراق مصدر خطر يهدد مصالحها الحيوية في الشرق الأوسط، ويقول (كاتزمن): «إن الولايات المتحدة تعتمد بشكل كبير على العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة لإضعاف النظام القائم آنذاك في العراق، ومنعه من البروز كمصدر تهديد عسكري لجيرانه على المدى البعيد».

ومضى المؤلف قائلاً: «يقدم كاتزمن خيارات متعددة تجاه العراق منها:

(١) مجلة الصياد اللبنانية، العدد ٣٣٥٨، السنة ١٣٠٦٤، ١٩ آذار (مارس) ٢٠٠٩، ص٥٨.

إسقاط النظام السياسي، وإعادة دمج العراق من جديد في المجتمع الدولي..» ويضيف: «يبدو أن الإدارة الأمريكية أخذت بهذا المقترح، فتم التحضير لاحتلال العراق، وابتدأت العمليات العسكرية في فجر يوم العشرين من آذار (مارس) ٢٠٠٣م».

ويتابع الكتاب بيان ظروف تغلغل المصالح الأمريكية واتخاذها التعليم والتبشير والتنقيب عن الآثار، والحصول على امتيازات النفط في العراق.

وجرائم الأمريكان والبريطانيين وحلفائهم في العراق لا تعد ولا تحصى، ومنها ما شاهدناه على القنوات الفضائية من ممارسة أحط صور التعذيب الوحشية واللاإنسانية في سجن أبي غريب وغيره.

هذا فضلاً عن أخذ (١٤٠٠٠) برميل من النفط يومياً مجاناً، وسرقة مئات القطع الأثرية من متاحف العراق، وقتل كثير من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات وغيرهم من الأسر قتلاً جماعياً.

أهداف الحملة المغرضة على الإسلام

لقد استنفر الغرب كل طاقاته وإمكاناته المادية والمعنوية، العسكرية والفكرية، واستغل نفوذه في المنظمات الدولية، ولم يترك أسلوباً من الأساليب أو ممارسة فعلية ضد الإسلام إلا استخدمها، سواء في مجال التاريخ، أو نقد النظام الإسلامي، أو تفنيد محتوياته، أو محاولة تكوين العملاء والأتباع، أو إيجاد الأنظمة السياسية الهشة والعميلة، وتكوين خلايا ومعارضة في كل دولة للاستعانة بها عند اللزوم، وتهديد من لا ينفذ الأوامر الموجهة من أمريكة وحلفائها بإحداث ألوان من الشغب، وربما اللجوء إلى الانقلابات في نظام الحكم، وهو الذي زرع الإرهاب المحلي وأمده بالسلاح والمال لهزّ بُنْية النظام السياسي، ونقد الأنظمة العربية، سواء المحافظة أو الراديكالية المتحررة، لأن المهم هو توفير الولاء والتبعية لسياسة الغرب، وهذا ما أدى إلى إعدام الرئيس صدام حسين الذي أبى الانصياع للأوامر الأمريكية، وليكون عبرة ودرساً لغيره.

ويمكن رصد مظاهر الحملة المسمومة والمغرضة ضد الإسلام فيما يأتي:

١- نقد التاريخ الإسلامي وأنظمته السياسية.

٢- مهاجمة مقدسات الإسلام، ومن أهمها القرآن الكريم والسنة النبوية.

٣- تشويه صورة الإسلام في العقيدة والشريعة ونظام الحكم.

٤- الاستهزاء بعظماء الإسلام بدءاً من النبي عليه الصلاة والسلام.

٥- الاستهانة بمشتملات القرآن ومضامينه وقصصه ووصفها بأنها أساطير الأولين، كما كان يفعل مشركو العرب الوثنيون في بدء ظهور الإسلام.

٦- محاربة أفكار المسلمين بطرق عديدة.

٧- إنكار الوحي الإلهي والتشكيك في صحته وترتيب سور القرآن وآياته، وافتراء كونه من محمد ﷺ.

٨- محاولة النيل من القرآن، وصد الناس عنه، ووصفه بالتناقض.

٩- اللجوء إلى حرب الأفكار والنقد البعيد عن أصول العلم.

١٠- إيجاد إسلام على الطريقة الأمريكية، وإسلام ليبرالي متحرر من معطيات الإسلام الصحيح.

١١- التخلي عن أصول النظام الإسلامي في الحياة بالترويج للظلم والباطل والطبقية ورقّة الدين، بدلاً من معايير العدل، والحق الأصيل، والمساواة، وقوة التدين والتمسك بأهداب الدين.

١٢- الفصل بين الدين والسياسة، وبين الدين والحياة، وبين الدين والاقتصاد.

١٣- إضعاف المسلمين من الداخل، وإبقائهم في حالة تخلف ومرض وجهل.

١٤- تفريق المسلمين والحيلولة دون وحدتهم.

١٥- الترويج للهزيمة الذاتية في النفوس المسلمة.

١٦- تشويه قيمة نظام الجهاد ووصفه بالعدوان والتعطش للدماء.

١٧- نهب ثروات المسلمين بأساليب مختلفة، ووضع العراقيل أمام الاستفادة من الباقي منها بأيديهم.

١٨- منع كل ما قد يكون سبباً للقوة، وفي طليعتها تصدير التكنولوجيا (التقنية المتطورة) وتزويد الأنظمة غير الموالية بقطع الغيار للطيران المدني وغيره.

١٩- الاستمرار في تشويه صورة العرب والمسلمين والاستخفاف بهم، في المحافل الدولية، والجامعات، والمؤسسات الثقافية، والمدارس.

٢٠- وصف المسلمين كلهم بالإرهابيين أو المتطرفين، أو الغوغائيين أو المتخلفين.

٢١- جعل الاقتصاد الإسلامي اقتصاداً مهزوزاً وضعيفاً ومرتبكاً، والتآمر على مصادر الثروات الإسلامية، وإيجاد أزمات اقتصادية خطيرة وسيئة للغاية ومتتابعة.

٢٢- الاستعانة بالمخططات الصهيونية والأساليب الإسرائيلية، سواء في مصادر المعرفة من تفسير وحديث وتأريخ، ودسّ أفكار غريبة وباطلة.

٢٣- حماية الكيان الصهيوني في فلسطين، ومؤازرته بالسلاح والمال والتقنيات المتطورة، وإنقاذه في أي حرب ضد العرب، ليبقى هو الأقوى والمنتصر.

٢٤- استغلال المرأة ودفعها إلى التبرم والاعتراض وعدم القبول بنظام الأسرة.

٢٥- إفساد نظام الأسرة الإسلامية، ونقد حكم تعدد الزوجات، وإباحة الطلاق، وتوزيع المواريث، وإجحاف المرأة وظلمها، والعناية بالجنس وأساليبه البدائية.

٢٦- الترويج للفساد والإفساد بين الشباب والفتيات والكبار، بوسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية، والمقروءة، والإعلانات الفاضحة، وإفساد الأخلاق بمثل الشذوذ الجنسي، أو زواج المثل، والعُرْي ومعاداة الحجاب الشرعي، والاعتداء على المحارم، وغير ذلك مما هو شائع في تقاليد الغربيين.

٢٧- تصوير أحوال المسلمين بالوحشية والهمجية والدمار وإيثار القتل وشن الحروب الظالمة.

٢٨- تأييد الحركات الدينية الهدامة كالقاديانية والبهائية، والماسونية والروتارية.

٢٩- العمل على نسخ فريضة الجهاد وآياته وأحاديثه.

٣٠- إثارة النعرات والتفرقة المذهبية بين السنة والشيعة، والترويج للصوفية، ومعاداة السلفية وغيرها من سياسات العزلة والانطواء وتحريك الطاقات.

٣١- الأخذ بأساليب صراع الحضارات بدل الحوار، ومعاداة كل أوجه التقدم.

٣٢- اتهام المسلمين بمعاداة الغرب، وتهديد الغربيين، وترويعهم، ورفض تقاليدهم وعاداتهم.

٣٣- اتهام الحكومات العربية بالاستبداد السياسي، وعدم الديمقراطية.

٣٤- العمل على نهب القارات الثلاث، واستنزاف ثرواتها لمصلحة الغرب، كما يقول روجيه غارودي.

٣٥- عدم التكيف مع المتطلبات المدنية والحضارية.

وبكلمة موجزة: إن أوربة وأمريكة يعادون الإسلام وقيمه، ويسعون لنقضه واحتوائه والاستخفاف به، لأنه النظام الذي يصطدم به الغرب، بحصونه المنيعة وذاتيته الحصينة.

الواقع المؤلم والأمل المشرق

إن الذي يؤلم أشد الإيلام واقع غريب في الغرب وفي ديار الإسلام، أما في الغرب فصورة الإسلام مشوهة أشد تشويه، سواء في مقدساته وعلومه وتاريخه وفلسفته وواقعه، مما أوجد حساسيات تاريخية مفرطة تجاه المسلمين، بسبب شيوع فلسفته للصراع المادي والعرقي، واستكباره ومعتقداته في التسلط والهمجية، مما يجعل الإنسان الغربي من خلال مناهج التعليم لديه، وأكاذيب الإعلام، وشحن العواطف ضد الإسلام، هو المسؤول الأول في عالم صنعه

هو، ويخضعه لسيطرته، قال فرنسيس فوكوياما: «بالرغم من القوة التي أبدها الإسلام في صحوته الحالية، فبالإمكان القول: إن هذا الدين لا يكون له جاذبيته خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة»[١].

ورتبوا على سقوط الماركسية وجود صراع جديد بين الإسلام والغرب قريباً، وأصبح هذا التفكير الإيديولوجي هو الخطر الجديد على مستقبل البشرية، كما أن الغرب ما يزال عاجزاً عن فهم (الصحوة الإسلامية) في النصف الثاني من القرن العشرين، ويخلط بينها وبين الأصولية الإسلامية والتطرف الديني وبين النازية الأوربية، بل يرى الغرب أن الإسلام يعد خطراً كبيراً على الممارسات الليبرالية (التحررية) في الغرب، وشعر الغرب بعد انهيار الماركسية، بنشوة النصر، ولم تتسع ذاكرته لأي شريك في التاريخ والحضارة، بل تجاوز الغرب ذلك بقوة إلى القول بنهاية التاريخ في كتاب فوكوياما (نهاية التاريخ) الذي استمات فيه المؤلف للدفاع عن الديمقراطية الليبرالية الغربية، وعبر (ريشارد نيكسون) في كتابه (الفرصة السانحة) عن تلك النشوة الكبرى بالنصر، وكل هذا النمط من التفكير والتنظير يؤدي إلى أثر سيّئ على العلاقة بين الإسلام والغرب، القائمة على تضخم الذات ونمو النزعة الاستعمارية، مما يلغي كل أشكال التفاهم والحوار والتواصل.

وأما البلاد الإسلامية والعربية فالمظاهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من تخلف وبؤس وجهل ومرض وتفرق ونزاع وغياب الذات الإسلامية، وبُعد عن التجديد، كلها ساعدت الغرب على امتهان المسلمين ووصفهم بأوصاف شنيعة، مما أثر في مستقبل الإسلام وانتشاره في الأرض.

وأدى هذا الوضع السيئ إلى وجود ظاهرة سيئة في الإعلام الغربي وهو الجهل الحقيقي بالإسلام، علماً بأن الإسلام قام على نهضة العلم والعقل، وأرسى قواعده على منهج السلم والأمن، وتطور أوضاع المؤسسات التعليمية

(١) نهاية التاريخ وخاتم البشر، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٣، القاهرة.

المختلفة، وتغير النظرة إلى المرأة، والدعوة إلى الحق والعدل والسلم القائم على العدالة والإنصاف.

ويتمسك المسلمون والعرب بالدعوة إلى الحوار الحضاري البنَّاء والهادف بين الشرق والغرب، لأنه طريق بناء جسور الثقة والتعاون والمحبة والألفة، والابتعاد عن ألوان الأحقاد والعداوات، وتصعيد العنف والتطرف والعدوان، وإعلان البراءة مما تورَّط به بعض الإسلاميين من إرهاب وإساءة للإسلام أولاً وللبشرية ثانياً، على أساس العودة إلى صلابة الإسلام وأصوله في الوسطية والاعتدال، والاحتكام إلى الفكر المجرد والمصلحة المشتركة، وتنزيه الإسلام عن التعصب والعنف، فهو دين الرحمة والعدالة والمحبة والتسامح، وتفنيد أسباب الإرهاب وضرورة اجتثاث أصوله النفسية والاجتماعية، وفي قمتها الشعور بالظلم الدولي سواء في مواجهة (إسرائيل) أم في احتلال العراق وأفغانستان وإثارة الفتنة والاقتتال في الباكستان بسبب تطبيق الشريعة في وادي سوان وإقليم وزيرستان، الذي يرفضه الغرب، وكذا غياب الديمقراطية الفعلية في بعض دول العالم العربي، وكل هذه العوامل تدعو إلى مزيد من الاحتقان والانقسام واستمرار الخصومات بين بلدان العالم.